

الأمثال في القرآن الكريم

(104) وما ذكرنا هو المستفاد من الآيات وقد صرح به الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في بعض خطبه: قال: "لا يقولنَّ أحدكم: اللهمَّ إنِّي أعوذ بك من الفتنة، لأنَّه ليس أحد إلاَّ و هو مشتمل على فتنة، ولكن من استعاذ فليستعذ من مضلَّاتِ الفتن، فإنَّ سبحانه يقول: (وَأَعْلَامُ مَا أَنَّمَا أَمْوَالَكُم مِّمَّا وَأَوْلَادُكُمْ مِّمَّا فَتِنَةٌ وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ يَخْتَبِرُهُمْ بِالْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ لِيَتَّبِعَنَّ السَّخِطَ لِرِزْقِهِ وَالرَّاضِيَ بِقِسْمِهِ، وَإِنْ كَانَ سُبْحَانَهُ أَعْلَمَ بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَلَكِنْ لِنُظهِرَ الْأَفْعَالَ الَّتِي بِهَا يُسْتَحَقُّ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ". (1) إلى هنا تبين معنى مفردات الآية وسبب نزولها والآيات التي وردت في هذا الصدد في حقِّ سائر الأنبياء. إذا عرفت ذلك فلنرجع إلى تفسير الآية. يقول سبحانه: إنَّ الابتلاء بالبأساء والضراء سنة إلهية جارية في الأنبياء كافة ولا تختص بالأنبياء الإسلامية، فالتمحيص وتمييز المؤمن الصابر عن غير الصابر رهن الابتلاء. فلا يتمحض إيمان المسلم إلاَّ إذا غربل بغريلة الامتحان ليخرج نقياً. ولا يترسخ الإيمان في قلبه إلاَّ من خلال الصمود والثبات أمام أعاصير الفتن الهوجاء. وكانَّ الآية تسلية لنبيه وأصحابه مما نالهم من المشركين وأمثالهم، لأنَّ سماع أخبار الأنبياء الماضية يسهِّل الخطب عليهم، وإنَّ البلية لا تختص بهم بل تعم غيرهم أيضاً، ولذلك يقول: (أَمْ مِمَّا حَسِبْتُمْ أَنَّهُمْ لَمْ يُدْعُوا أَن يُؤْمِنُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا يُحْكِمُ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا) أي أن تدخلوا الجنة ولما تبتلوا وتمتحنوا بمثل ما ابتليت به الأنبياء السالفة وامتحنوا به. فعليكم بالصبر والثبات كما صبر هؤلاء وثبتوا. _____ 1 - نهج البلاغة: قسم الحكم: الحكمة 93.